١٩٧٤

مكتبة نوبل

هاري مارتينسون

باقة برّية



ترجمة: د. عابد اسماعيل

باقة برية

مكتبة نوبل

اسم المؤلف : هاري مارتينسون
عنوان الكتاب : باقة برية
المترجم : د . عابد اسماعيل
الناشر : المدى
الطبعة الاولى : سنة ٢٠٠٤
الحقوق محفوظة

Author:Harry Martinson
Title :Wild Bouquet
Translator:Dr. Abed Ismael
Al- Mada P.C.
First Edition : 2004
Copyright © Al- Mada

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

١٩٧٤

مكتبة نوبل

هاري مارتينسون

باقة برية

ترجمة:

د. عابد اسماعيل

الإهداء

إلى ذكرى الشاعر الإنكليزي و. هـ. أودن

مقدمة

يحيا الشعراء حياة قاسية بوجه عام، ولكن قلة بينهم تبدأ مشوارها تحت وطأة ظروف صعبة كتلك التي مرّ بها هاري مارتينسون. عندما توفي والده، المدمن على الكحول، وجوّاب البحار، في عام ١٩١٠، هجرت والدة الشاعر إلى كاليفورنيا، تاركة هاري، ابن الستة أعوام، مع أطفالها الأربعة الآخرين، الأصغر سناً منه، في كنف دور الرعاية العامة. وبعد سنوات من الإهانة قضاها مع مربّيه، فرّ إلى البحر في سن الرابعة عشرة، وبين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٧ أبحر أربع عشرة مرة، على متن سفن مختلفة، وتحت أعلام دول مختلفة، وعملَ، كما يعبّر هو نفسه، "كنوتي عادي، ووقّاد، ومشذّب فحم، يمثل خطراً محدقاً على مطابخ السفن الأربعة عشر، وكان يخرج أحياناً متسكعاً في موانئ العالم، قاطعاً آلاف الأميال على قدميه، وخاصةً في الهند والقارة الأوربية، والأمريكيتين." وبعدما أصيب بالسلّ، ترك حياة البحر ورسا على اليابسة نهائياً، ما أتاح له احتواء مرضه. ومثل هرمان

ميلفل ، الذي يشبهه في الكثير من الجوانب ، أمضى مارتينسون الشطر المتبقي من حياته مستذكراً تلك التجارب الأولى ، ومستثمراً إياها في كتاباته . أولى كتب الرحلات التي نشرها ، حظيت باهتمام واسع ، وظهرت في مجلد واحد تحت عنوان (وداع الرأس البحري) عام ١٩٣٤ ، كذلك هو الحال مع كتاب سيرته المتخيّلة (الشوك المزهر) الذي ظهر في عام ,١٩٣٥ في كتابه (الرياح التجارية) الصادر عام ١٩٤٥ ، هجر الشاعر الارتحال بمعناه البراني ، واستعاض عنه بارتحال جواني ، ساعياً إلى خلق علائق بين المسافر الخارجي أو "الهائم في العالم ،" وبين المتأمّل ، المسافر داخل نفسه . وقد وظّف البحّارُ السابق مفهومَ "الريح التجارية" كرمز جامع . يكتب مارتينسون :"ثمة ما هو قوي الحضور كونياً بحيث يصعبُ ترويضه مادّياً ." ثمّ يتابع قائلاً : "تمثل الريح رمزاً جيداً هنا ، وبين أنواع الرياح جميعاً ، تُعتبر الريح التجارية الرمز الأفضل للمعقولية الإنسانية ، والرغبة في تهوية الأشياء . إنها تمثّل حالة ذهنية تأخذ الطقس البحري كنموذج ، حيث أن اتساعها يوحّد اتساع العين وانفتاحها على مشاهد جديدة وأراض جديدة ." إن استعارة السفر اكتسبت منحىً جديداً في قصيدة مارتينسون الملحمية (أنيارا) الصادرة عام ١٩٥٦ ، والتي تحكي عن سفينة فضائية عملاقة تمخر عباب الفضاء في رحلة لا رجعة فيها ، وعلى متنها ثمانية آلاف

شخص تمّ إخلاؤهم ، بعدما جعل الإنسانُ الأرضَ غير قابلة للسكنى ، وتمّ إقصاء أو رفض كل الإرهاصات الإبداعية . في عام ١٩٤٩ رُشّح الشاعر إلى الأكاديمية السويدية ، وفي عام ١٩٧٤ اقتسم جائزة نوبل للآداب مع آيفيند جونسون . قضى مارتينسون نحبه بعد أربع سنوات من نيله الجائزة ، أي في عام ١٩٧٨ .

رواية مارتينسون (الطريق) التي ظهرت عام ١٩٤٨ سبقت رواية جاك كيرواك المعنونة (على الطريق) ، وبالرغم من أنها تشاطر رواية كيرواك هاجس الاحتجاج على شرور المجتمع المنظّم ، إلا أنها تختلف عنها جذرياً . إن الروح الحارسة لرواية مارتينسون تمثل سراً مركزياً ، وطريقةً في تركيز الشعور بحيث تمنح شكلاً لحياة المتسكع . وفي أتون هذا السر ترقدُ الطبيعة : "ثمة آلاف من الأسباب التي تجعل المرء يسيرُ على طريق عامّ ، سنة وراء سنة . أكثر تلك الأسباب فتنةً هو وجود الغابات ، والأدغال . للغابات طريقتها في إخفاء نفسها عن نفسها ، من شجرة إلى أخرى ، ومن تلّ إلى آخر ، دون أن تتوقف لحظة واحدة عن التلميح بما تخفيه . إنّ صداقة الغابات تمثل إغواءً عظيماً ويائساً . إنك لا تستطيع الفكاك منها ، ذلك أنّك إذا أردت طردها ، فإنها تكتفي بأنّ تقفز كالعصفور من غصن إلى غصن ، وتنادي كالوقواق ، أو تصفرُ كطائر السمن . . . إذا ذهبت ، كطفل ، إلى الغابة من أجل التسلية

المحضة أو قطف حبّات العلّيق ، أو البحث عن أبقار ضلت طريقها ، فإن الغابة بكليتها تتقدّم نحوك ، وتطبقُ عليكَ تماماً ، وتسكبُ أمواجَها من أجلك ، وتجد أنك وقعت في الأسر ، يلفّك الذعر والترقّب في آن معاً . إن الغابة ، بفضل تبدّل شكلها وصداها باستمرار ، تقنع المتسكع الذي يتجوّل في أنحائها أنّ عليه أن يتوقّع شيئاً ما دائماً ، بحيث يعيشُ الهاجسَ بعد الهاجس ، والوسواس بعد الوسواس ، إلى ما لانهاية ."

في أوائل حياته ، هجر مارتينسون الرمزية الخاصة والتجربة في الشعر ، لصالح الموضوع الأكثر شمولية ، الطبيعة . لقد اتجه إلى تقليد سويدي جميل كان بدأ بالتشكّل حتى قبل لينايوس (١٧٠٧-١٧٧٨) . ويشير لارس جيلينستين إلى أنّ مارتينسون يشبه كثيراً عالِمَ النبات الشهير من حيث "براعته الأصيلة والعميقة ، وتيّقظه المرهف غير التقليدي ، وتماهيه الحنون ، واللطيف ، والهادئ مع شكل وهيئة كل شيء حيّ ." فمن أمتار مربعة قليلة لمشهد طبيعي يراقبه ويدرسه ، يطور الشاعر منظوراً كونياً أوسع ، وفلسفة رحبةً للحياة .

في كتابه (منظرٌ من أعلى المرج) الصادر عام ١٩٦٣ يحتجّ مارتينسون بأن وصف المشهد الطبيعي يتعرّض لهجوم نقدي متواصل . وإذا كان للوصف في الشعر السويدي تقليد طويل وموغل في القدم قد سبق لينايوس ، فإن هذا لا يعني بأنّ "نثر الطبيعة ،" و"قصائد الطبيعة

الغنائية" قد وجدت قبولاً كجنس أدبي أو حتى جنس ثانوي . على النقيض من ذلك ، إن كتابات كهذه كانت دائماً موضع شبهة . ويشعر مارتينسون بأن الكاتب الذي يصر على الاستمرار في وصف الطبيعة ، والانشغال كلياً بمشاكل البيئة ، لابدّ وأن يكون بالضرورة منتمياً إلى أقلية فنية . ويشير إلى أن الكتاب الذي يُعنى بالطبيعة ، يصير محطّ اهتمام العلماء في الثقافة السويدية ، وذلك للتأكيد على أنه لا ينتمي إلى الجنس الأدبي . وبتواضع جمّ يقدّم مارتينسون تعريفاً لما يسمّيه "كاتب الطبيعة ،" بالقول : "إنه الفنان القادر على التعبير عن حقائق بسيطة قديمة بطريقة تجعلها تبدو جديدة . يمكنه أن يقول بأن العشب أخضر ، وأنّ الطير يغني ، وأنّ الشمس تتلألأ فوق المياه . لتحقيق ذلك ، يحتاج الكاتب إلى الصبر ، والحساسية ، والرغبة ، وإلى المقدرة على نقل الذات إلى حالة خاصة من الهدوء الذهني الصافي ، في كل مرة يريد أن يحقق تواصلاً فنياً وتحليلاً مع الظواهر الطبيعية ."

هذه الحالة الذهنية ، كما يرى مارتينسون ، يمكن تحقيقها من خلال "الصمت والخلوة ." ومن وجهة نظره ، يترتب على كاتب الطبيعة أن يبحث ويدرس ويراقب ويصف الطبيعة ، لا أن يتماهى معها فحسب ، (إلا بالمعنى العام جداً) أو يستخدمها فقط للتعبير عن رمزية خاصة أو حوادث تعتمل في النفس . إن ما يمكن أن يخسره من الحميمية أو

الغموض من خلال بحثه يعوض عنه بالدقة التي يسجّل فيها جميع التفاصيل ، كل على حدة . وحسب مارتينسون ، فإنه لا توجد حدود فاصلة بين وصف الطبيعة والأدب المحض : "إن اللقاء بالطبيعة هو لقاء بالحياة نفسها ، وبالوجود الصرف . إذا قُدر لأحد أن يدرك ما هو الفن ، فهذا لا يُطاق ، وإذا قدر لنا أن نعرف ما هي الطبيعة ، فهذا أيضاً لا يُطاق . إن ما نقابله في الطبيعة هو الغموض ، وعندما نتصدى له ، فإن قدراً مما يمكن تسميته "الخجل" مطلوب جداً . ... إن من يعقدُ العزم على وصف الطبيعة ، يجب أن يقترب من موضوعه بحساسية وخجَل الوعل . لن ينفع كثيراً إرهاقُ الوصف بحقائق بطيئة وثقيلة ."

في قصائده عن الطبيعة يستنهض مارتينسون الحواسّ جميعاً : فالأوراق "ترمشُ على الأشجار ،" والإوزة تشق طريقَها عبر "المخمل المتخثّر للمستنقع ،" في حين أن الفراشات "بوشاحاتها المشرقية المضيئة" تصيخ السمعَ لأشعة القمر ، والثوب الطويل لجلد الأفعى "يشعّ أبيضَ في الغابة ." إنّ ما تسترجعُه الحواسّ لا يمكن للزمن أن يقوّضه :

عندما قطّعنا الحطبَ من الغابة أواخر الخريف
حدثت أشياء كثيرة ظلت تحتفظُ بها الحواسّ ،
أشياء استقرّت في الذاكرة ،

تتوقّد بوجيبِ لحاء البتولا المتلألئ .

ذاك الجزء من الحطب الذي لا يتصاعدُ أبداً مع الدخان .

إن العالم الطبيعي الذي تقدمه القصائد يخلو من الحضور الإنساني ، غير أنّ الإنسانية متضمّنة في كل شيء : الوقواق يعرض "مزرعتَه المفلسة للبيع في المزاد ،" من أجل أن "يطعمَ فراخَه ،" على الفور ؛ وعشبةُ الشاطئ تتمايلُ وترتعش على وقع "لحنٍ ملحي أزرق ،" من أجل سيّدها المحيط ؛ ومشاتل رؤوس الملفوف "تميد طرباً بذواتها الرّيانة ؛" كما أنّ "الحياة والموت ، هذان المبذّران العظيمان ، يلعبان لعبةً خطرةً في الليل ." ويرى الشاعر أشياء الطبيعة بصفتها جزءاً من العتاد الإنساني : إن رأسَ طائر غطّاس الماء يدور دورة كاملةً تقريباً "مثل مروحةٍ هوائية ساطعة ؛" والجزيرةُ تطفو مثل "سفينةٍ بأشرعة من السنديان ؛" وإغمادُ جناح اليعسوب يشبه خفوت "آلة نفخ هندية ؛" والصخرةُ المدوّرة "خزانةٌ ضخمةٌ بمفتاحٍ فُتِلَ نحو الداخل ، وطحالبَ تنمو في القفل ." كما أن ثمة حسّاً بالطرافة يذكّر بالكاتب كريستيان مورغينسترن ، ما يُكسِبُ الوصفَ بعداً إنسانياً : "كل امرئ اسمه أوتو" يظنُ بأنّ "الوقواق يناديه ؛" وسانتا كلوس "راسبوتين مدرسة الحضانة ،" يهزّ "لحيتَه التي من لفيفِ القطن ،\وبجزمةٍ عاليةٍ ، يشقّ طريقَه إلى قلوبِ الجميع ." عندما يقدّمُ نباتُ الفطر العاري في

الخريف "كعكتَه المنتصبةَ ،" فإننا نكون مدعوين لمشاهدة منظر أيروتيكي مثير . وعندما يظهرُ متحدثٌ آدمي في القصائد ، فإنما ليقومَ بدورِ الخادم للعالم الطبيعي :

محنياً كالخادم ، أمشي عبر مطبخ دغلِ الصنوبر .

وفي مركز الطبيعة ، كما يذكّرنا مارتينسون دائماً ، يكون الإنسان : "الإنسان ، ذاك المستكشفُ ، الباحث عن نفسِه ."

في مقاربات مارتينسون الهادئة والمرهفة والعميقة ، ثمة دائماً ما يذكّر بموقف التبجيل لدى الهندي الأمريكي ، والذي يرى بأنّ الأرض ، في جميع تجلّياتها ، مقدّسة :

العقدةُ في الغصن ،

وأعصابُ أوراقِ "جار الماء" : إنها توجد من أجلي

وأنا الأغنية ، مسموعةً على حسابِ الأرض .

هذا التبجيل يشي بانفتاح القصائد على ما يسمّيه الشاعر الأمريكي ربرت بلاي انتباهَنا : "تتحلّى قصائدَه بلطفٍ لغوي ، بهيّ ومثير . إنها قصائد تنزلق وفق سجية مفرداتها ، مثل سفينةٍ تمخر عبابَ بحر هادئ . وتشعر أن الأشياء حية ومرنة وعطِرة مثل عشب ينامُ تحت الماء . قصائده في اللغة السويدية تذكّر قليلاً بشعر لورانس في (الزهور البافارية) أو ببعض مقاطع ويتمان عن بومونوك التي تشبه السمكَة .

قصيدتُه لا تنغلق أبداً بحركةٍ مفاجئة ، مثل نفق مفتوحٍ من الجانبين ."

إن العنوان نفسه (باقة برية) يوحي بالهدية ، وبالتبجيل . ومن خلال تقديمه لجميع مكوناتها ، لا يغيب عن بال مارتينسون أبداً أن الأشياء في الطبيعة ، صغيرها وكبيرها ، تتفاعل وتتناغم . ولذلك قال مرةً : "هذا هو السبب الذي يجعلُ المرءَ يشعرُ بالأمان فيها ."

سنوات مارتينسون التي قضاها في البحر منحته حسّاً بالمسافة جعله ، في كل الأوقات ، يمارس دورَ المراقب الدقيق والحذِر . ومثل لوحات ديغا ، فإن قوة المسافة لعين الفنان الحادّة تمثّل تعويضاً استثنائياً عن الإحساس بتوتر عميق . تارةً تبدو مواضيعَه دافئة وحميمة ، وتارةً باردة كأنها تجمّدت بعيداً في الزمان والمكان . ينظر إلى زهور الفاوانيا وهي تطلق براعمَها في حديقة منزله الصيفية ، بنفس الطريقة الأزلية التي يصف فيها أعشابَ البحر السابحة في فلوريدا ، كما في هذه القصيدة التي نقلها إلى الإنكليزية الشاعر و . هـ . أودن :

بعيداً في البحر

بعيداً في البحر ، يشعر المرءُ بالربيع أو الصيف
كمن يشعرُ بالنسيم العابر فحسب .
أحياناً ، في الصيف ، تزهرُ أعشاب فلوريدا السابحة ،

وتمتلئ بالبراعم ،

وأحياناً ، في مساء ربيعي ،

يطيرُ اللقلقُ ذو المنقار المعقوف

باتجاه هولندا .

إذا كانت نبرة الصوت في قصيدة (بعيداً في البحر) لها رنين الحقيقة ، فهذا يعود ربما ، كما يقترح أودن ، إلى أنّ الشاعر يقدّم البحر بصفته مركزاً تتحرّك فوقه الأشياء في الزمان والمكان ، تماماً كما تعبرُ الأشياء في وعي البحّار ، وفق أبعاد حقيقية ، ومن ثمّ تعبرُ عقلَ القارئ أيضاً . تُقرّب وجوهُ "صيادي السمك" وتُرسَم عن كثب ، متلألئةً تحت ضوء فوانيسهم ، وهم يمهرون الأصوات البعيدة لأرباب عملهم الأثرياء ، كما في قصيدة "سفينة الحبال" التي قام أودن أيضاً بترجمتها :

على خطّ العرض ١٥ شمالاً

وخطّ الطول ٦١ غرباً

بين باربادوس وتورتوغا

رفعنا حبل الأطلسي استعداداً للصيد ،

حملنا فوانيسنا

وفرشنا مطاطّاً جديداً فوق الجرح في مؤخرة الحبلِ .

عندما وضعنا آذاننا فوق البقعة المجروحة ،

سمعنا همهمةً تسري في الداخل .
أحدنا قال : "إنهم الأثرياء في مونتريال
و سينت جونز يتحدثون عن أسعار السكر في كوبا
وعن تخفيض أجورنا ."
داخل حلقة من الفوانيس وقفنا هناك طويلاً وفكّرنا ،
نحن صيادي السمك الصبورين ،
ثمّ أنزلنا الحبلَ المرمّمَ
عميقاً إلى موطنهِ في قعر البحر .

ويقول مارتينسون إنه لم يكتب أبداً عن الطبيعة في ذات اليوم الذي يعايشها فيه . المسافة (في الزمن) ، كما يزعم ، تمحو الأشياء غير المهمة ، وتجعل ذكرى التجربة حادةً بشكل كثيف . والمسافة تحتفظ بكل المشاكل التي تميل الكاميرا إلى الاستغناء عنها : "خذ لقطةً لزنبقة الماء . لماذا تبدو عادية جداً ، عندما تكون ، على أرض الواقع ، حدثاً خارقاً؟ لدي شرح أقدمه . عند النظر إلى زنبقة ماء حقيقية ، ينشغل المرء بمشاكله البصرية . ويمرّ الناظر بسلسة من العوائق في شكل لألأة الماء ، وانسكاب ضوء الشمس ، وانعكاسات الروائح الكريهة للوحل والترسّبات ."

وكان مارتينسون قد قال مرة بأنه يكتب قصائده بالكثير من

السهولة واليسر ، "ومن ثمّ يضعها جانباً في حقيبة عتيقة ، ويتركها لتنضج ." كان يفضّل أن يكتب عن الصيف في أيام الشتاء ، وكان يسمي ذلك "علفه الروحي الشتوي ." يهيمن الصيف على المشاهد الطبيعية التي يصورها مارتينسون . في طفولته ، كان عليه أن يقبل حقائق مريرة كموت والده وهجرة والدته ، وكان عليه أن يعاني البرد والجوع . : "شعرتُ بالبرد في قلب طفولتي ." وكان من الطبيعي أن ينجذب الشاعر خلال سنوات عشقه للطبيعة لدفء واكتناز الصيف : "لا يمكن للمرء أن يتخلّص من ذكرياته عن الصيف . إنها ما تفتأ تعود- ولا حاجة أن تضيف إليها شيئاً . تمضي فصول الصيف ، وتبتكرُ الشعرَ على طريقتها ." في الصيف ، "تنزفُ حباتُ التوت البرّية على اللسان ، ولكن دون أن أي طعم بالدم" :

عندئذٍ تكون الحياةُ على أشدّها

متورطة بما هو كائن : ثمة محاولة لعناق الفردوس .

وتصبح الهندباء البرية ، بالنسبة للشاعر ، رمزاً للصيف ولشبق الحياة . وقد قال مارتينسون مرة لصديقه الفنان بروسفيتس أنه منجذب إلى الهندباء بنفس الطريقة التي ينجذب فيها الفنانون اليابانيون والصينيون إلى زهور اللوتس وأشجار البامبو والكرز- كما كان الحال خلال حقبة التانغ- ولزهور الصليب الطافحة السّاحرة .

ويشير الناقد آرثر لوندكفيست إلى أنّ شعر الطبيعة لدى هاري مارتينسون "سويدي بامتياز لدرجة أن ترجمته قد تكون مستحيلة ." ومارتينسون شاعر مجددّ ، يبتكر دائماً مفردات جديدة ؛ من هنا ضرورة الانتباه إلى الإيحاء خلال الترجمة ، دون الإخلال بتوازن القصيدة ، أو العبث بسياقها الأصلي . إن ترجمة قصائد (باقة برية) ، والتي تم اختيارها من ستة دواوين شعرية مختلفة لمارتينسون ، استغرق فترة سنوات عشر . بعض هذه الترجمات تعود للشاعر و . هـ . أودن ، الذي ترك معظمها غير منتهية . لقد كان أودن معجباً كثيراً بتأويل مارتينسون الغنائي لعالم الطبيعة . وقد أهدينا هذه المختارات إلى ذكراه ، وحاولنا إصدار كتاب يمكن أن يرقى إلى مستوى ذائقته ، بحيث ينقل إلى القارئ الأصالة والعطر في (باقة برية) ، قصائد هاري مارتينسون في حلتها الجديدة .

ويليام جي سميث

ليف سجوبيرغ

اللحظة

قبل أن تنفجرَ اللحظةُ وتندثر
يحطّ اليعسوبُ قبالةَ مرآةِ الماء .
في كلّ ثانيةٍ دقّةٌ لساعةِ الموت
في كلّ دقيقةٍ موكبٌ جنائزيٌ للثواني .
دعنا نمكثُ قرب اللحظةِ ،
الآن حيث الفراشةُ ترعى أمام الأبديةِ
قبل أن تنفجرَ اللحظةُ وتندثر .

صنوبرة عملاقة

الصنوبرةُ العملاقةُ : غابةٌ بحالِها تقريباً ،
بأغنيتِها العاصفة .
مثل كلّ شيءٍ في حياتِها ، وفي الحياةِ بأسرها أيضاً .
وحيدةً في ضجيجِ الجموعِ ،
إنها نفسُها مقدارٌ من الأماكنِ والأقدارِ السّرية .
شتاءات صامتة ، فصولُ صيفٍ ملبّدةٌ بغيومِ التبنِ ،
حمامةٌ وسنسارٌ .
في أعلاها لطالما وقفَ الطائرُ الغَرِدُ
يغنّي عن سنين
كثيرةٍ وطويلةٍ ،
ما تفتأ تتوالى وتمرّ .

الريح تهبّ سريعةً وباردةً

تهبّ الريحُ سريعةً وباردةً
والأرضُ الجليديةُ الملمّعةُ تتهيّأ لحفلةٍ .
مشطورةً إلى نصفين ، بفعل الرّيحِ الشتويةِ ،
وخاليةً من اللذة ،
تتطاير أعوادُ قصبِ السنةِ الفائتةِ
فوق الأرضِ الزلِقةِ المصقولةِ .
في البدءِ تتدحرجُ مستقيمةً
ثم سرعان ما تجنحُ في غير اتساقٍ ،
بإيقاعاتٍ متقطّعة ،
تلفحها هبّاتُ نسيمٍ لاذعة
تأتي من الشّمال .

ثلجُ الدوّامة

الثلجُ الملتفّ يبدأ رقصتَه
فوق الأرضِ الجليديةِ المتلألئةِ .
لا يرى المرءُ أية أقدامٍ ،
ثمة عباءتهُ فحسب
ينسجُها الثلجُ من الضوءِ ،
بسرعةِ أضواءِ الشّمال ،
بثنياتِها
المرتوقةِ بإبرٍ من برد .

قطعةُ شتاء

مساراتٌ دقيقة (لابنِ عرس)
تعبرُ خفيفةً بخطوطٍ ثمانية
فوق ثلجِ الشّتاء ،
هناك حيث الساقيةُ الجليديةُ المتواريةُ
بسقفِها ذي الفراءِ الأبيضِ
تتلوى باتجاه الأمام ،
هناك حيث الماءُ الملتفّ يحفرُ
حوضاً رقراقاً ،
والفقمةُ تشربُ من عينِ الجليدِ .
عندما يأتي الأطفالُ ، مرتدين قبّعاتِهم الصوفية الحمراء ،
ليستمعوا إلى غناء هذا السّقفِ القطبي ،
تغورُ الفقمةُ صوب كهفِها
وتراقبُ عيونَهم من خلال شقوقٍ في الجليد .

عرعرٌ قزم

لا شيءَ أكثر قسوةً يمكن أن يفسّرَ
صراعَ الحياةِ المستديمِ
من عرعرٍ قزمٍ ينمو في أرضٍ ساحليةٍ بور .
مشدوهين
نقرأُ نصّ حياتِه الصعبةِ ،
وانقباضاتِه الناشئة ،
تمسّكَه الشّرسَ الزّاحفَ ،
كأنما في معركة ،
متلوّياً
تجلدهُ الرّياحُ العاصفةُ .

بقعةُ عشب

بقعةُ العشبِ تمتصّ الشمسَ
وببطءٍ وهدوءٍ تطردُ
الصقيعَ عن جسدِها الأرضي .
تتابعُ نموّها على وقعِ تنهداتِ ربيعٍ
من الدفءِ المتراكم .
ألسنةُ وحوافّ الثلجِ المكنوسِ
تنحسرُ على الملأ في العاصفةِ الثلجية .
قطراتٌ تدلفُ من السّقفِ
تسجّلُ الوقتَ في برميل .

عشبةُ الشاطئ

على وقعِ لحنٍ ملحيٍ أزرق
ترتجفُ عشبةُ الشاطئ
وتترنّحُ بارتعاشاتٍ مألوفةٍ
تعلّمَتها من ريحِ البحر .
بصبرٍ وأناةٍ
بين سويقات القشّ
تصفّي العشبةُ الريحَ والرملَ
حتى تجدَ نفسَها مدفونةً .
لكنها ، في آخر المطاف ،
تتوقّف عن اللعبِ والارتجافِ
من أجل سيدها المحيط .
مدّ البحرِ يرتفعُ ناعماً باتجاهِ الشاطئ .

وقواق

صوتُ الربيعِ يُسمَعُ في الغابة .
كل امرئ اسمُه أوتو
يظنّ بأن الوقواقَ يناديه .
غير أن الوقواق ، ببساطة ، يعرضُ
مزرعتَه المفلسةَ للبيعِ في المزاد .
حالاً ، سيطعمُ فراخَه .

غابة الطفولة

عاريَ القدمين ، لطالما ركضتُ من مرجٍ إلى مرج
باحثاً عن بقرات الفلاّح ،
ورأيتُ كيف أنّ قبة السّماء المعكوسة
أطلقت دولابَ غيومِها في البركةِ الصغيرة .

في غابات الصيفِ تلعبُ الحياةُ ،
والمساءُ عميقٌ بطيورِ السّمن
والسماءُ شاهقةٌ بطيورِ السنونو ،
لا شيء يأتي من أحلامي وأوهامي البتة ،
غير أنّ الذاكرةَ تحيي حياتي
وتصيرُ الذكرياتُ نفسها أحلاماً مكتملة .

إلى سهوبِ العلّيق ،
عميقاً في أبرشيةِ الصّيفِ ،
يهاجرُ حلمي أحياناً
مثل غرنوقٍ في الرّبيع .

أغنيةُ الطائر الغَرِد

في مكان ما من مساء الغابة يجلسُ الطائر الغَرِد . لا نستطيع أن نراه ، غير أن أغنيته تتّسعُ في الفضاء أكثر فأكثر مثل اهتزازاتٍ في بحيرة . وبالرغم من أنها تجلبُ الطمأنينة ، ولا تسبّب قنوطاً البتة ، إلاّ أن ما نعنيه بالحزن و"البعيد النائي" موجود هناك ، في كل مكان بين أشجار الصنوبر الصّامتة الهامدة– وشمسُ المساء تدهنُ الجذوعَ الطويلةَ للحور باللّون نفسِه : بعيد وناء .

في كل مكان على الأرض ، وبخاصةٍ في غاباتها ، يتردّدُ صدى تلك الأوتار البعيدة والمعبرة ، وما نعنيه بالألوهة يندفعُ بلا توقّف في الوديان والمروج . أضواءُ وظلالُ الغابةِ نفسها تروحُ وتجيءُ ، تحرّرُ وتوثقُ . تبدأ الأذنُ بالبحث . أين يجلسُ الطائر؟ ربما هنا ، وربما هناك . تساعدُ العينُ الأذنَ في اختيار الأشجار ، غير أنّ الأغنية تلتفّ وتتصاعدُ من مئات الأغصان ، حتى أنها تتلاشى وتصيرُ كاللغز . وتأتي أنغامُ جديدة ، أم أنها الأنغام نفسها أبداً؟ الآن تُسمَعُ إيقاعات أنشودةٍ

مشمومةٍ . إيقاعات تبدو كأنها تتحرك إلى الخلف ، مرميةً على تخوم بعيدة . ويُهيأ للأذن كأن ميلاً مكعباً بكامله ، على جانبي الطائرِ الغردِ ، صار مملوءاً بهذا الاستنشاق اللّطيف النافذ .

غريزياً ، يحطّ الطائر ، حيث المدخل إلى وادي الغابة يصبح مثل شرَكٍ عملاق في هضبة التيبت ؛ غريزياً يحطّ فوق الغصن الصحيح ، السابح ، حيث الهواء مثل طبلة أذن .

في مكان ما من هذه الغابة نفسها ، وفي سكينة المساء ، وبين الآلاف من رؤوس الأشجار ، يجد الصدى أكثر معابره رهافةً . يستطيع المرءُ أن يسمعَه وهو يحاول أن يجرّب العديد من الأماكن والأشجار المختلفة حتى يجدَ الشجرةَ الأكثر رنيناً ، في هذه اللحظة بالذات .

هو يرغبُ أن يُسمَعَ ، وأن يسمعَ نفسَه باسطاً حديثَه المسائي ، أكثر صفاءً وغنىً ، من ذي قبل . ولكن عليه أولاً أن يشدّ أوتار آلته الموسيقية . وهذه يفعلها بالتحليق ، واكتشاف أية فسحة في الغابة يمكن لأكثر الأوتار حساسيةً أن تُسمَعَ في هذا المساء بالذات .

يمكن أن يستغرقَ ذلك ساعةً أو ساعتين ، قبل أن يكتشف كيف تكون عليه حالُ طبقات الهواء هذه الليلة ، وكيف تتناغمُ ، الواحدة مع الأخرى .

"أجل ، هنا!" أحياناً ، يصيح . وما يلبث أن يمتحنَ احتمالات

الطقس في تلك البقعة . غير أنّ ثمة ثقلاً ما في الهواء ، وعليه ترويضه أولاً . وبدقة تفوقُ دقةَ عالمِ الرياضيات ، سرعان ما يكتشفُ أن الجزء الأسوأ قد تسبّبَ به تيارُ هواء هبّ من إحدى الوديان الصغيرة النائية ، في جنباتِ الغابة . يجب عليه أن يكرّر أغنيتَه . ولكن أين؟ في بعض الأماكن ، يكتفي بترديد بعض الأنغام . وهذه تكفي لتدلّه بأنّ هذا ليس بالمكان المناسب . وما يلبث أن يطير ثانيةً .

أحياناً ، يصلُ به الحالُ إلى حافة اليأس . هل ، حقاً ، لن يجد الموسيقى الصحيحة؟ ألن يجد السروة العالية ، حيث أكثر الأنغام المستنشقة ، وأكثرها عذوبة ، لناي العصفور ، تتواشجُ مع نزوات وقوانين مملكة الهواء؟

حسنٌ ، وأخيراً يقتربُ من المبتغى . لا يمكنه أن يكون كاملاً . مرةً واحدة ، ربما ، خلال كل ألف سنة ، وبالصدفة المحضة ، يستطيع طائرٌ واحدٌ أن يحقّق الكمالَ . لكنه يقترب منه ، ويجثمُ بالقرب من الوضوح . إنه يهزمُ طبقات الهواء ويبزّها فطنةً ، ويوظّف احتمالات الصدى جيداً بما يتناسبُ ووجهة رغباته .

ويبدأ بالأغنية ، طائرٌ غَردٌ صغيرٌ يعزف على آلةٍ عملاقة ، وتبدأ جمهرةٌ شاسعة من الهواء المطيع بامتصاص أغنيته ، بكل أناقة ونظافة ، وابتكار نغمات حنجرته- الناي .

ويستمرّ في الغناء حتى هبوط الغسق ، وأغنيته ، الآن ، تعكسُ صورةَ انحناء قوس بعيدة ، مشدودة إلى عالم الشوق ، بكلّ صدقه وزيفه ، على خيط السّؤال الذي يتلاشى باتجاه "ساعةِ اللاشيء" العملاقة وهي تذوبُ في جوهرِ الشّمسِ الغاربة .

في الصيف

في الصيفِ لا توجدُ بقرةٌ فوق الجليد ،
وتوتُ السحابةِ الرّعديةِ يمكن التقاطه في الغابات .
تنزفُ حباتُ التوتِ البرّي على اللسان
دون أي طعمٍ للدم .
عندئذ تكونُ الحياةُ على أشدّها
متورطةً بما هو كائن :
ثمة محاولة لعناق الفردوس .

أفعى

بين عرائش الدّلبوث الأزرق تخلعُ الأفعى جلدَها .
تتلوى جاهدةً للخروجِ من ثوبها الضيّق الطويلِ ،
تميلُ إلى هذا الجانبِ أو ذاك ،
تخرج منه ،
وترميه جانباً ،
دون أن تنظر إلى الوراء ،
والثوبُ الطويل يظلّ هناك ،
يشعّ أبيضَ في الغابة .

بين الظلال

بين الظلال التي ترتجف مثل مؤشّرات
ثمة بقعٌ من الضوء تزحفُ نحو الأمام .
في فرجة يومٍ تموزيّ ، تراها تنفخُ الحياةَ
بمخلوقاتٍ تعدو بين أعشابِ عالمٍ مصغّر .
بين سويقات القشّ
تتلفّظُ أرضُ الصّيفِ بأشياءَ خطيرة .
في كلّ ثانية ، ثمة آلافُ الحوادث الصغيرة
التي تقعُ بسرعةٍ وحذر :
الأوراقُ ترمشُ على الأشجار .

أغنية المرج

مرجٌ مزهرٌ لا يمكن وصفُه
إلاّ من خلال فراشاتِه ،
وليس ثمة من ينشِدُ له بأفضلَ
ما يفعلُ نحلُهُ .
لا شيءَ يمكن أن يتذوّقَ حتى الثمالة
بريقَ آلاف الأجنحة
ويفهمَ بالضبط أغنيةَ النّحل
سوى تلك الجنيّات
اللواتي ، منذ الأزل ، درّبن أنفسهنّ على الإصغاء .

فراشات

ليس للفراشات أجنحة .

إنها تطيرُ بفعل وشاحات مشرقية مضيئة .

بهذه الطريقة تكونُ الطبيعة قد أسدت لها خدمةً .

لقد ابتكرت هذه الوشاحات الجميلة

لكي يصيرَ من الصّعب ابتلاع الفراشة .

إوزّة

بالانحناءة البيضاء لعنقِها
المائلِ كالمنجل ،
تشقّ الإوزةُ طريقَها بشراسةٍ
بين غابةِ الطحالب ،
تثقبُ بمخرز منقارِها
المخملَ المتخثّرَ للمستنقع ،
ترفعُ رأسَها وتنظرُ ببرودٍ
مثل أفعى حول شاطئ الأحلام .

الصيف على البحيرة

ملاكُ الطين ، هذا النيلوفر ،
ينهضُ من الأعماق ، ويبدأ طيرانَه فوق ظلّ المياهِ
التي تدفنُ قيودَها الخضراء تحت الموج .
بسرعةٍ فائقة ، بعدئذٍ ، ومن كل الجوانب ،
تهرعُ عناكب الماء باتجاهِ البقعةِ فوق البحيرة
حيث يوجد شراعُ الماءِ الهادئ ،
من أجل أن تقيسَ ارتفاعَه
قبل أن يبدأ الطقسُ العاصفُ بالهبوب .
بعدئذٍ ، شامخاً وشديدَ البياض ،
يهبطُ مساءُ الصّيفِ فوق الجزيرةِ ،
فيما قنطرةُ السّماء ترفعُ الليلَ عالياً
باتجاه ضوءِ النهارِ المفتوحِ على مصراعيه ،
تماماً كما يحدثُ في أسطورة (آينو) .

المرآة ذات العين الصافية

عندما هدأ المدّ
استيقظت مرآةُ الماءِ ذاتُ العينِ الصّافية .
في أعماقِها
أخذت الغيومَ
التي أبحرت بعيداً باتجاه الحافة
تحت عينِ البحيرة .
أشجارُ الصنوبر انقلبت رأساً على عقب
في فضّة المرآة .
فتاةٌ كانت تجدّفُ عائدةً إلى بيتها
أوقفت تجديفَها
ورسا قاربهُا المطاطيُ الأسود
مثل بؤبؤ داكنٍ في منتصفِ عينِ البحيرة .
كان يوماً من أيامِ تمّوز

سرعان ما عكستُهُ مرآةُ السنين ،
غير أنّ القارب الذي كانت تجدّفُ به
ظلّلَ ، لوقتٍ طويل ، بؤبؤَ البحيرةِ بالسّواد .

صورةٌ بالماء

الغابةُ المائيةُ للقصب
تخفقُ براياتٍ لا حصرَ لها .
ترتعشُ شجرةُ الحورِ حتى القمّة
وهمساتها الورقية المشتاقة
تتغلغلُ لا مرئيةً باتجاهِ الجزيرةِ الصغيرةِ .
امرأةٌ تستحمّ ؛
وطائرُ غطّاسِ الماء يتوقّف فجأةً عن السباحة .
هاهو يديرُ برأسهِ دورةً كاملةً تقريباً
مثل مروحةٍ هوائيةٍ ساطعة .

جزيرة صغيرة

طائرُ غطّاس الماء يستديرُ برأسِه أولاً
ومن ثمّ بجسدِهِ ،
ويرمي عنقَه
مثل سهمٍ ملوّنٍ داخل دوائرِ الماء ،
فتهتزّ الجزيرةُ الصغيرةُ ،
ومن ثمّ تطفو سابحةً إلى الأمام
مثل سفينةٍ بأشرعةٍ من السّنديان ،
قاذفةً بكلّ أعوامها ، ولو لبرهةٍ قصيرة ،
في موج الحاضر .

الفراشة

مولودة لأكونَ فراشةً ،
لهَبَي البارِدُ يتراقصُ
فوق المخملِ الثقيلِ للعشب .
الأطفالُ يطاردونني .
خلف مروجِ العشبِ والخبّاز
تجنحُ الشمسُ إلى الغروب .
أتدبّر حيلةً للهروب إلى اللّيل .
يبزغُ القمرُ : إنه ناء وبعيد .
لكنني لستُ خائفةً .
أصغي لأشعّتهِ .
أطبقُ عينيَّ لكي أحميهما .
الندى يجعلُ جناحي تلتصقان ببعضهما .
أحطّ على زهرةٍ شوكية .

بقّات حزيران

هذه السماءُ الصيفيةُ المسائيةُ
هي مثل البياضِ الجميلِ لمقلةِ العين .
تمرّ بقاتُ حزيران بأزيزها المضجر ،
وهمهماتها الطويلة .

عندما يحدثُ وتحطّ ،
ترى ألقَها الغريبَ ، قديمَ الطراز ،
والبريقَ الذهبي الأخضر لغمدِ أجنحتها
وقد انطوى مثل آلةِ نفخٍ هندية .

فُرجة في غابة

في الجانبِ المضاءِ بالشّمس
تصيرُ الفُرجةُ في الغابةِ أرضاً ذهبيةً
ينوءُ عشبُها بالشّمس .
في قلبِ هذه الغرفةِ داخل الغابةِ
صخرةٌ مدوّرة ناتئة مثل خزانةٍ ضخمة
بمفتاحٍ فُتِلَ إلى الداخل
وطحالب تنمو في القفل .

فراشة خرافية وكائنات طويلة السّيقان

في المساء ، عندما يهبطُ الظلامُ ، تأتي الفراشةُ الملكيةُ الخرافية إلى زهرةِ الرّحيق البرية ، النابتة قرب وجهِ الصخرة . في الغسق ، عندما تختلطُ انطباعاتُ الألوان على الناظر ، يهيأُ لنا أن الفراشةَ عصفورٌ غَردٌ أمام أزهارٍ في فسحةِ غابةٍ برازيلية . إنّ لها القدرة السّاحرة نفسها ، بلألأتها الراقصة ، للوقوف جامدةً في الهواء ، حيث لا يمكن ، عند تلك النقطة ، إدراك التناوب الخارق لارتجافها إلاّ بوصفه صورةَ سحابةٍ من المسحوق المدوّر في الضوء الناعم الأبيض . فوق جذعها الطويل ، قشّةٌ تبدو وكأنهّا تسندُ وتتحكّمُ بمستوى الرفرفة .

إنها مثل عصفور هادئٍ مرفرف ، تعملُ أجنحتُه بدقةٍ مذهلة . عندما يمتصّ لسانها الطويل المستدقّ الرحيقَ المخبوء في الأعماق ، والخبايا الضيّقةَ في الزهرة ، تنحرفُ إنشاً أو أكثر ، ومن ثمّ تطيرُ جانبياً إلى الزّهرة التالية .

وعلى مدى مساءات خمسة أو ستّة متتالية ، تسبرُ غمارَ زهرةِ الرحيق التي تغطّي نصف وجه الصخرةِ تقريباً .

الفراشة الخرافية هي من بين فراشات الرّحيق الكثيرة عند الشفق ، تلك التي تملك المظهرَ الراسخ والجذّاب . إنها لا تملكُ شيئاً من النحول الشبحي للكائنات ذات السيقان الطويلة ، أو تذبذبها اللانهائي . الفراشة الخرافية تبدو دائماً في مهمّة ، في حين أن ذوات السيقان الطويلة تبدو كأنها دائماً تأتي بشكل عشوائي مثل ذرّات متطايرة من الحطام ، تذروها الرّياحُ . ذوات السيقان الطويلة ، بمشيتها الهادئة والحذرة هي أكثر نحولاً من خنافس الحصاد . لكنها موجودة ، تطعم نفسها ، وتتدبّر أمرها ، مثلنا . عندما تسحقها يدٌ غير صبورة ، تنهارُ بكل هدوء . وتتركُ بقاياها على الحائط مثل حروف صينية مرسومة بحبر صيني ، وسيقانها ممدودة مثل أطلال مترامية في الأمواج المتجمّدة للموت .

هناك ، خارج الحائط ، تطير الفراشةُ الخرافيةُ بجسدها المتبجّح ، المخطط كالوشق . والناس ، البعيدون جداً عن الحشرات ، يحاولون أن يعيدوا التناغم إلى أفكارهم ، لكنهم يفشلون دائماً .

تتغلغلُ الأحجيةُ عبر الشقوق ، والسّاعاتُ ما تفتأ تدقّ . ينتصبُ الواقع في العقل كأنما في بوتقة . الإنسان ، ذاك المستكشفُ ، يبحث عن نفسه .

ديك

الديكُ يقرأ الحقلَ ،
ينبشُ ويتفحّصُ ،
ينادي الدجاجات
لكي يريهنّ الحيلةَ .
دودةٌ ، تحاولُ الرجوعَ إلى أعماق الأرضِ ،
نُبِشَت وازدُرِدَت
في بلعةٍ واحدة .

قنّ الدجاج

عائداتٍ باكراً من تنقيرهنّ النهاريّ ،
تدورُ الدجاجاتُ حول أنفسهنّ
لعددٍ من المرات أمام قنّ الدجاج
وينظّمن سيرهنّ وفق نظامِ النقر .
فقط عندما يصبحُ ذلك جلياً
يقفزن باتجاه مهبطِ مبيتهنّ .
سرعان ما يجلسن على شكل أنساق حول المهبط .
يتململُ الرجلُ لمرةٍ أو مرتين طلباً للنوم ،
لكن النوم لن يأتي الآن .
فالدجاجاتُ يصئن ويقرقن ،
وبالصّفير والملاطفة ، عليه أن يهدّئ من روعهنّ .
يتبعُ ذلك بعض الهرج والمرج :
إحدى الدجاجات تحاولُ أن تتذكّرَ

آخر دودةٍ التقطتها ،
غير أنّ الذاكرةَ تشحبُ للتوّ ،
في طريقِها إلى حوصلتِها .
دجاجةٌ أخرى ، على حافّة النوم ، تسترجعُ بجلاء
شكيمةَ الديك ، وتقلبُ محجريها باتجاه السّماء ،
وبجفونِ عينيها تطردُ العالمَ عنها بعيداً .

ملفوف

مشاتلُ رؤوسِ الملفوف
تميدُ طرباً بذواتها الريانة ،
تحزمُ أمرها باكراً لغايةٍ تخصّها ،
تنغلقُ بقوةٍ وإحكامٍ
على أوراقِها ضدّ مرور البزّاق .
مصرورةً بإحكام
بخضرة الصباح الزرقاء المندّاة ،
تختمُ وزنَها وسعرَها في السّوق .

الشيء الغريب

عميقاً في سحيقِ البئر
تتأرجحُ اللحيةُ البريةُ لعشبِ الماء
مسرّحةً خصلاتهِا الداكنة في التيار .

من هنا يتسلّق الضفدعُ ليلاً
ويطلقُ أغنيتَه بحبور .

وحيث ظلّ المساءِ
يرسلُ جزعَه الداكنَ
ليشربَ من النبيذ الأبيض للجدول
يطلقُ ناسكُ البئر بأعلى ما يستطيع
صوتَ روحهِ التي تشبهُ الزّيز .

سرعان ما تردّد المستنقعاتُ الصّدى ،

لكنها ، مذهولةً حتى الأعماق ،

تفتقرُ لعذوبةِ المبتكرِ الأوّل للنغم .

ماءُ زنبق الماء

ماءُ زنبقِ الماءِ يجعلُ مرآتَه أكثرَ حدّةً .
صفحةُ النهارِ تنبسطُ صافيةً
بأوراقٍ طافيةٍ ملساء بلونِ الشمع .
سكونُ البحيرةِ هدوءٌ يخصّها لبعضِ الوقتِ
بأعماقٍ سماويةٍ مخادعةٍ تغرقُ في الطين .

فراشاتُ النهرِ ترفرفُ وتدورُ
فوق ظلالها .
ثم ما تلبثُ أن تجدَ فريسةً تؤكل ،
غير أن ذبابةَ الشاطئ تفلتُ
محدثةً دوائرَ مائية
من النقطةِ قرب القشّة .

سرعان ما تنهضُ ريحٌ ،
تبدأُ على شكل هبةٍ أو نسيمٍ ،
وتبدأ تشتدّ ساعةً بعد أخرى .

أوراقٌ هائمة

1

كلّ شيءٍ ساكنٌ ومرنانٌ
في النبعِ الصّافي هذه الليلة .
في المستنقعِ ، تبني عصفورةُ الماءِ منضدةً لها :
عيدانٌ وأعشابٌ متصالبة .
ستكون على مدى ثلاثة أشهر عرّافةَ المستنقعِ
وتتنبأ بالأمطار التي ستهطلُ فوق فزّاعةِ الحقلِ
التي يسكنُ فوق قماشِها النملُ الأحمر .
لكنها تضعُ أولاً ثلاث بيضاتٍ في الأعلى
وهي أكبر بقليل من بيض الحمام .

2

العقدةُ في الغصن ،
وأعصابُ أوراقِ "جار الماء" : إنها توجد من أجلي ،
أنا الأغنية ، مسموعةً على حسابِ الأرض .
محنياً كالخادمِ ، أمشي عبر مطبخ غابة الصنوبر
في مساء حزيران المملوء بالذباب–
وهناك ، بهدوءٍ وامتنانٍ ، أتذوّق أوراقَ الحمّاض
كأنها الحساء .

3

الآن تنفضُ أشجارُ الحورِ حبات المطر
فتنكشفُ السماء ،
أوه ، أيتها الأرض الشاسعة!
رائحةُ المطر ورائحةُ الصنوبر ،
أوه ، أيتها الأرض الشاسعة! بالأنف يشمّ المرءُ عطرَكِ ،
أيتها الأرض الشاسعة!
ويسألني الصاحبُ المفتون :
ألم تتنبأ عصفورةُ الماء بذلك كلّه البارحة؟

آه ، أيتها الأرض الشاسعة! الجاودار المثقل بالمطر
يتحرّك بعيونٍ تترقرقُ بالقطرات ،
ويسيرُ ، موجات ، موجات ،
عبر الحقل كأنه في مهمّة تجارية .
ما أجمل أن يستنشق المرء عطركِ المنعشَ ، أيتها الأرض!

4

جرسٌ يتسكّع الليلةَ
عبر الوهاد–
وبين الغابات ، على بعد أميال ، يُسمعُ
صدى صوتُ نقّار الخشبِ بلونه الداكن .
الصدى يوقظُ الثعلبَ ،
والصخرةُ المغطاة بالطحالب
قرب عين الدغلِ السوداء
تمعنُ التحديقَ في ظلّها
غير أن نظرةَ الشّمس تتسلّقُ كالسحلية
جذعَ شجرةِ الحور المرتعشة .
نباتاتُ العلّيق في ريعان شبابها .

5

في الحرارة حيث يقف الجاودار
مرتدياً أكثر زهورِه يباساً
يريحُ زيزُ الحصادِ آهةَ يومِهِ ،
خفيفاً فوق المساحة الرّشيقة للعنق .

للأذن التي لا ترى
لكنها تتكلّمُ إلى العينِ الداخلية ،
صنوجٌ صغيرةٌ من الجمر تتململُ
في الضّوءِ السّاطعِ

وتظلّ تطقطقُ : أما زالَ الوقتُ صيفاً!
أما زالَ الوقتُ صيفاً! أما زال الوقتُ صيفاً!
فيما يتنهّدُ الجاودار مبشراً بالحصّاد .

6

مساءٌ من الغبش في شهر اليرقات اللامعة :
أكوامٌ من الحبوب في الحقل تتحرّك بينها الفئرانُ

مثل أطفال يلعبون بين بيوتٍ في شوارع طويلة .
لكن ، سرعان ما يهدأ كل شيء
ويذهبُ الجميعُ للنوم .
ثمة تغييرٌ آخر : يضعُ الضبابُ ذراعَه
حول خصرِ كل وريقةٍ
ويبدأ رقصةً معها فوق الأرض المبللة .

طائر البلشون

في الخريفِ الصّافي ، يكونُ الهواءُ نقياً .
مع كل تنهيدةِ شجرة ، يتنهّدُ الله ،
فيما يكون النبعُ ملطّخاً بالصّفرةِ ،
والحنّاء ينزفُ من الأغصانِ المقطوعة لجارِ الماء .

وقف البلشون الرمادي هنا ذات صباح :
وقف هادئاً كما يقف الكركي
مباشرةً تحت وشاحات الضوء المائية للضباب .

رحتُ أراقبُه كيف يقف ،
لم يكن يأبه لكلّ ما يحدث
أو لكل ما يغيرّ من رؤيةِ العالم .

فَزعاً من الصّرير الحديدي للقطار خلف الضباب
يفرّ البشلون بكبرياء
عند اقتراب القطار ،
برياً ، أنيقاً ، مسالماً ، وغيرَ مبالٍ .

السنة الأخيرة

إنها السنة التي بيعَ فيها الكوخُ المهجور
في الغابةِ كحطبٍ للنار .
جاء الحطّابون بشاحنتهم
وهدّموه خلال ساعتين وربع
بل وأخذوا معهم غطاءَ البئر .
بدا صغيراً جداً عندما انتزعوه عن البئر
حتى أنهم لم يحاولوا قسمه إلى نصفين ،
بل وضعوه كما هو في صندوق الشاحنة .
انتصب هناك ، صدراً رمادياً صغيراً ، مغطّىً بالطحالب .

عندما سادَ الهدوءُ مرةً أخرى
خرجَ ابنُ عرس من المدفأة القديمة .
استدعى عصفوراً من الغابة ،

وأقاما معاً قداس صلاة .

غنّى الهزارُ لحناً غرداً .

غير أنّ كل شيءٍ انتهى :

لاشيء ، بعد ذلك ، ظلّ كما هو .

وراح الصيفُ يمشي الهوينى

راشّاً في طريقِه العشبَ وأطواقَ الزهر .

زهور القرنفل

اتسعَ الصيفُ وامتدّ ،
وتكثّفَ إلى أدغالٍ صغيرة .
زهورُ القرنفل في الحقل الأحمر الداكن
انتفخت تحت المطر .
عندما تتفتّحُ براعمُها المضمومةُ ككرات القماش
تأتي الملكة الشهوانية ،
باحثةً عن باقات ثقيلة ،
ووجبات فاخرة للحواسّ .
كان الاخضرار رطباً .
رطوبةُ الحياة هي بمثابة حكاية صيف :
كانت الملكة قد تهيأت للحياة وليس للخريف .
عميقاً في جسدِها كانت تعرفُ بعناد
أن الموت سيلوّحُ لها في الوقت المناسب
برايتِهِ التي من قشّ .

عندما يتعبُ الصيف

عندما يتعبُ الصيفُ تماماً

يحجمُ عن إخفاءِ فضاءاته المتعبة .

أوراقُه وفخاخُه

تنحلّ وتفترق .

الأشجارُ ، مع سقوطِ أوّل ورقة ،

تبدأ تتهامسُ فيما بينها .

النحلة الطنّانة المنهكةُ

ترخي قبضتَها فجأةً

وتسقطُ ، بلا حراك ،

بردائها الشفّاف من أعشابِ الخريف .

فوق كمّ قميصك

فوق كمّ قميصكَ
آخرُ فراشةٍ صفراء
أغواها ، عن طريق الخطأ ،
ضوءُ الشّمسِ الشامت .
حين انتبهت أن الإغواءَ بلا طائل
طارت بعيداً عن يدكَ
ونأت
تحيكُ طيرانهَا بالأوراق المتساقطة .

باقة برية

مضمومةً في باقةٍ ،
ترتجفُ الزهورُ ذاتُ الأجراسِ الزرقاء ،
تحاولُ أن تقتحمَ نظرةَ عينِك المفتوحةَ السّاهمةَ ،
حيث الخريفُ ما يزال هنا ، جافاً ومملوءاً بالبذار .
أيامٌ مشعّةٌ ، جافةٌ وطويلةٌ ، مع ريحٍ شمسيةٍ لاذعة .
من العشبِ النحيلِ المنسابِ كالشَعر ،
تتساقط ندفٌ من البذور .
استيقظي ، فتاتي الحالمة ، يا ذات العينين الواسعتين ،
وعودي إلى هنا قبل أن يحلّ الخريفُ
ويهيمنَ على الأنحاء!

كرةٌ من زغب

ألقُ الهندباء البرية يخبو .

الآن ، تنتظر هادئةً كرتَها التي من زغب

حيث يمكن لكرةِ الضوءِ التي من صوفِ الرّيحِ

أن تُرفَع عن المصباحِ المطفأ .

عنكبوت الحصاد

يتسكّعُ عنكبوتُ الحصادِ
على أرجلٍ نحليةٌ نحولَ الخيوطِ
عائداً ، في مساءٍ هادئٍ ، إلى عشّهِ فوق الأوراق .
الأرجلُ الثمانية ، شديدةَ النحول ،
تتحرّكُ مائلةً في كلّ اتجاه .
لا يشغلُ مساحةً تُذكَر
مكتفياً بكفافِ حدودهِ .

دودة الأرض

من يحترم دودةَ الأرضِ
تلك الحارثة في الأعماق
تحت الأعشابِ في التُربة؟
إنها تُبقي الأرضَ متبدّلةً باستمرار
وتشقّ طريقَها ، عمياءَ ، عبر التراب .

عندما تكتسي الحقولُ
وتكون جاهزةً للحصاد
تعزقُ الدودةُ المناطقَ السّفليةَ .
من ذا الذي يحترمُها ،
تلك الحارثةُ ، العميقةُ ، الهادئةُ ،
تلك الفلاّحةُ الأزليةُ الصغيرةُ
عميقاً داخل التراب؟

الكوخ المتداعي

البراعمُ الحنونةُ للسّرفيل الأ بيض
تصبحُ الستائرَ الأ خيرةَ للكوخِ المتداعي .
السقفُ المهشّم ينهارُ .
الممرّ ليس سوى بقعةٍ من العشبِ
لم يعد يطأها أحدٌ .
غير أنّ كلّ من غصنِ الصنوبرِ والحجرِ
اقتربا أكثر من بعضِهما .
بعد مائة عامٍ سيتزوجان .

كائناتٌ طائرة مولودة حديثاً

الكائناتُ الطائرةُ المولودة حديثاً
تشقّ طريقَها تحت الأشجارِ الجرداء .
إنها تتوقّف فجأة في أمكنةٍ تدرأ عنها الريحَ
تراها ترقصُ إلى أعلى ومن ثمّ إلى الأسفل
حيث يمكنُ لشمسِ الخريفِ أن تمنحَها الدفء .
لا أحد يستطيعُ أن يسمّي أنواعَها أو ينطقَ بأسمائِها
قبل أن ترميها ريحُ الخريفِ خارج السنةِ
باتجاه بحارٍ بلا مأوى من الرّيح .

كل منها يمكنُ أن يشكّل كلمةً
وترى لغةَ الحياةِ مبثوثةً هناك في الريح .
الحياةُ والموت ، هذان المبذّران العظيمان ،
يلعبان لعبةً خطرةً في الليل .

جلّ ما نراه كائنات لم يحصها أحد ،

بل وغير قابلة للإحصاء ،

مقذوفةً إلى الأبد ، ومبعثرةً إلى ما لا نهاية .

همسة ورقة

همسةُ الورقةِ تشبه صوتَ أجنحةِ لا تُحصى
لطيرانِ الزّمن ،
حيث لكلّ ورقة ، الآن ، زوجان من الأجنحة .
اصغِ وستسمعُ في العميقِ السحيقِ
تناوبَ الربيعِ والخريفِ
في أعلى تيجان أشجار الخريف .
تقتربُ الشتاءاتُ قارسةً متجمّدةً ،
تندمج ريحُ الموتِ بريحِ الحياةِ ،
متحدثةً ، في الظلام الغائم المكفهّر ،
إلى أمواجِ الزمن .

قطعُ الحطب في الخريف

عندما قطّعنا الحطبَ من الغابة أواخر الخريف
حدثت أشياء عديدة ظلت تحتفظُ بها الحواسّ ،
أشياء استقرّت عميقاً في الذاكرة ،
تتوقّد بوجيبِ لحاءِ البتولا المتلألئ .
ذاك الجزء من الحطب
الذي لا يتصاعدُ أبداً مع الدخان .
الإسفينُ المطلوب
لقطعِ الحطب ذي العقد الكثيرة
رُمي ، هو الآخر ، إلى الذاكرة أيضاً .
عندما انفصلت الألواحُ المقصودةُ ، وكُوّمت ،
انفلقت جميعُ سنواتِ البتولا دفعةً واحدة ،
تفوحُ منها رائحةُ الصّيفِ والشتاء .
هكذا تتلاشى ذكرى التعب

كلما كبرت كومةُ الحطب وارتفعت .

الذاكرة تحرسُ المكتبَ الأبيضَ للخشب

في وسطِ غابة الخريف .

جذع مقطوع

داخل الخشبِ يبدأ الزمنُ بحفرِ فتحاته :
تتفتّتُ نشارةُ الخشبِ الصفراء بين الدوائر السنوية
وتهبّ بعيداً .
يعصف المطرُ ويكنسُ الأغصانَ والبقايا .
تقتربُ أسلاكُ نباتِ الدّلبوث أكثر
ومع مضي الوقت ، تغطي الجذعَ
بشالٍ من الأوراق الجلدية .
سرعان ما تختفي الفتحاتُ القاسيةُ للجذع
مثل عشبٍ يغطّي جوهرَه .

لحن رعوي

هباتٌ صغيرةٌ
تكتسحُ تلّ قطعِ الحطب .
ديكٌ يغمغمُ في وجهِ الريح
بالقرب من مكان التحطيب ،
في طريقِهِ إلى الدجاجات والديدان .

شجرة تفاح برّي

مهجورةً ، بأوراقها الصفر ،
تحدّق شجرةُ التفاح البرّي بالماءِ
تنفضُ عنها ثمارَها في النبع
وتجهّز حساءَ التفاح .
تعيشُ حيث هي ،
وتشاطرُ جنسَها مصيرَه القاسي
وتشعرُ بحريةٍ أكبر
من شجرةِ الجنّة .

قلب من البتولا

القلبُ المحفورُ في لحاءِ البتولا
انتفخَ مع مرورِ الوقت .
من نسغِ الشجرةِ
امتصّ الحياةَ
وصارَ أشبهَ بكعكة .
انتظرهُ بضعَ سنواتٍ في الغابة
وسيبدأُ بالخفقان .

تساقطُ الأوراق

أجبرت الريحُ الشجرةَ
الاعترافَ بخريفِها .
إنها ترمي على الأرضِ
على شكل أصفرٍ ذهبي
ما كان خيراً لها
خلال حياتِها في الصّيف .
سرعان ما سيُجبر الشجرُ بأسره
على التخلّي عن اللعبةِ هذه السنة .
إنها تصيرُ ، بسرعة ، نوعاً من الموضة
أن تخرج الأشجارُ عاريةً تماماً .
نباتُ الفطر ، المصاب بالذهول ،
يقدّم كعكتَه المنتصبةَ الحمراءَ
وهي ما تزال في عزّ نضارتها .

القيقبُ يطاردُ رداءه الذي من نار

القيقبُ يطاردُ رداءَه الذي من نار
في المطرِ الذي أخمدَ حُمرَةَ الصّيف .
عواصف قارسة تلسعُ أبوابنا ،
صارخةً بأنّ خضرةَ العشبِ قد ماتت .

بذراعين مملوثتين بالأوراق
يمرّ الإعصار مرتدياً معطفه الطويل
من أوراق اللهب ،
ممسكاً بالصنوبرة الظليلةِ ،
برج الغابة العظيم ،
ويطيحُ بها أرضاً .

صباح من صقيع

صباحٌ من صقيع لا يخالجُهُ نجمةٌ .
تبدأ ندفُ الثلجِ بالهطولِ فوق الدرج ،
بعدئذ يُسمَعُ صريرٌ وطحنٌ يتعالى
مع كلّ درجةٍ تقودُ إلى المخزن ،
حيث صريرُ الباب يعلو
بعدما جمّدَ الجليدُ مفاصلَهُ .
جدولٌ صافٍ يقذفُ الزفيرَ :
إنه ينفثُ الدخانَ مثل ركوةِ قهوة .

الساقية

تتلاشى الساقيةُ وتنأى
إلى أبعدِ مدىً لها
تحت نُدَفِ الثلجِ المقوّسة .
إنها تهمسُ وترتجفُ
بصوتٍ ملؤه الإصرار .
الساقية ما تزال تمارسُ
لعبةَ الصّيف أو الشتاء
لكنّ ثمّةَ ما يُسكِتُها
ويخرِسُ صوتَها رويداً ، رويداً ،
إلى همسةِ فمٍ مقفلٍ بالجليد .

ذكرى أكثر من بتولا

أشجارُ البتولا ، بيضاء ،
بجذوعٍ من الضّوء ،
تتابعُ سيَرها في الممرّ المؤدّي
إلى منزلِ مالكِ العزبة .
أشجارُ أخريات تتجمّعُ
في شكلِ حلقةٍ ،
أو اثنتين .
الأوراقُ ما تزال نضرةً .
إنه الربيعُ دائماً
في تلك الطفولةِ السنويةِ للأشجارِ
عندما يقيمُ الأفقُ حفلةَ سَمَرِه .

سانتا كلوس

في كلّ عام
عندما تصيرُ الأشجارُ بيضاء
يعودُ المبتسمُ العجوزُ ، والمكروهُ
راسبوتين مدرسةِ الحضانة .
يهزّ لحيتَه التي من لفيفِ القطن
وبجزمةٍ عاليةٍ
يشقّ طريقَهُ إلى قلوبِ الجميع .

خرافة استوائية

خلَعَ المطرُ شبكتَهُ فوق الغابةِ
واصطادَ ماردَ الجفاف .
البرقُ رفعَ فانوسَه عالياً ،
اهتزّت ذؤابتُه ، انطفأ ،
ثمّ اشتعل ثانيةً ،
حتى انتهى كلّ شيء ،
ورمت الأشجارُ الرطوبةَ جانباً .
لفّ الصحو كلّ شيءٍ من جديد .
خاطت القردةُ
القمرَ الصاعدَ
إلى سلّةٍ مطرّزةٍ بالأعشاب .
هربَ القمرُ ،
لكنه أسقطَ الجمرَ

فوق قردةِ الكارايا المشاغبة فوق أغصان

أشجار المورا :

هكذا وُلِدَت الحباحبُ .

تحت البهاء البعيد للنجوم

تحت البهاءِ البعيدِ للنجوم
عرّضت الأبديةُ نفسَها
للبرودةِ الحادّة في الغابة .
فوق الخطّ الرفيع المحفور
الذي رسمَه نيزكٌ
مرّت اللانهايةُ المتوتّرةُ
بمحاذاة عصبِ اللّيلِ الدّامسِ .

منحوتة للطبيعة في جبال الآنديز

المطرُ العشوائيُ الفائرُ والجليدُ المصقولُ
نحتا من هذه الصّخرة-الغرانيت تمثالاً لامرأة .

بفروهِ الأخضر يلتصقُ الطحلبُ
فوق وجهِ الصخرةِ المبقّع ،
يتوزّعُ حول السرّة
وحول العورةِ التي من صوّان .
عبثاً يدغدغُ النملُ الثديين العملاقين
من الغرانيت لامرأةِ الصّخر هذه .
البرقُ ضربَ عنقَها .
مرّت عليها آلافُ الأعوام وهي متكئةً هنا
تسخرُ من البرقِ ، ومن كلّ ما عداه ،
بابتسامةٍ جليديةٍ مثلومة .

أذرعٌ ثلاثة ، وعينٌ واحدة .
تحديقةٌ أزلية تنطلقُ من عينِها الجانبية
التي من الكوارتز .
قرب ربلةِ ساقها تتحدّثُ الساقيةُ
عن آلهةٍ مخلوعةٍ عادلةٍ ،
وتنشدُ ، بأجراسٍ فضيةٍ رطبةٍ ،
بالقرب من كاحلِها العملاقِ الناعم .

حزن وفرح

لكلّ حزنٍ عميق فرحٌ مفقود .

لا تفقد تلك الوجهة .

لا تدع الحزنَ ينسى مهمّتَه .

الحزنُ هو أنبلُ شرفٍ

يمكن أن ينالَه الفرح .

رحيل الذكريات

عندما توشكُ الذكرياتُ على الرّحيلِ
تزوركَ بكثرة أولاً
كأنّما ترغبُ أن تستهلكَها حتى النّهاية .
من الأفضل أن تستهلكها مثل وجبةٍ مفضلةٍ
لدرجة أنكَ لن تشتهيها ثانيةً .
من هنا تنقصُ قيمتُها
وبالتالي تسقطُ ، ذات يومٍ ، فريسةً للنسيان .

صدر له (عابد اسماعيل)

في الشعر :

* طواف الآفل - دار الكوز الأدبية ، بيروت ، 1998
* باتجاه متاه آخر - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1999
* لن أكلم العاصفة - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 2000
* ساعة رمل - دار الينابيع لله دار الكنوز الأدبية ، بيروت+دمشق ، 2003

في الترجمة :

* قلق التأثّر ، هارولد بلوم - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1998
* نظرية لانقدية ، كريستوفر نوريس - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1999
* سبع ليال ، خورخي بورخس - دار الينابيع ، دمشق ، 1999
* خريطة للقراءة الضالة ، هارولد بلوم - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 2000
* الحادي عشر من أيلول ، نعوم تشومسكي - دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 2002
* بورخس ، ويليس بارنستون - دار المدى ، دمشق ، 2002
* نصف حياة ، ف .س . نايبول - دار المدى ، دمشق ، 2002

* ادفنوني واقفاً ، إيزابيل فونسيكا - دار البلد ، دمشق ، 2003
* ساعة حياة ، ويليس بارنستون - دار المدى ، دمشق ، 2003
* فن الكتابة ، توني بارنستون ، تشو بينغ - دار المدى ، دمشق ، 2003
* الذين يحبون الشّوك ، غونيشيرو تانيزاكي - دار المدى ، دمشق ، 2004

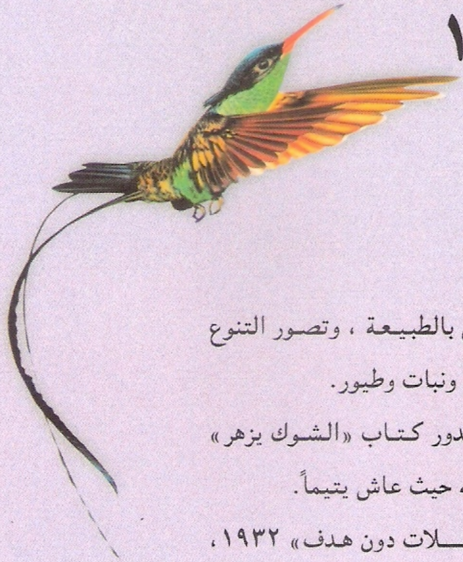
في النقد :

* ولاس ستيفنس : تخيل صوفي أسمى (أطروحة دكتوراه باللغة الإنكليزية من جامعة نيويورك ، للعام 1995) .

الفهرس

هاري مارتينسون

نوبل ١٩٧٤



- ولد في ٥ آيار ١٩٠٤.
- قصائد «باقة برية» تحتفل بالطبيعة ، وتصور التنوع المدهش لكائناتها من شجر ونبات وطيور.
- كان أول نجاح للشاعر صدور كتاب «الشوك يزهر» ١٩٣٥ الذي يصور طفولته حيث عاش يتيماً.
- من أبرز رواياته :«رحلات دون هدف» ١٩٣٢ ، «السفر» ١٩٣٦ ، «والطريق من كلوكريك» ١٩٤٨ ، وهي آخر مؤلفاته النثرية.
- « إنيارا » ملحمة شعرية تتحدث عن رحلة الى الفضاء ، وستصدر قريباً بالعربية عن دار المدى.
- توفي في ١١ شباط ١٩٧٨.

ISBN:2-84305-761-X
9 782843 057618